

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

تقدم الكتابة عن موضوع (الكاتب في بلاد الرافدين القديمة) ميدانا شيقا للدراسة والبحث فضلا عن كونها احدى المواضيع الحضارية المهمة التي لم تحظ بالقسط الكافي من الدراسة والتحليل ، خاصة اذ ما تعلق الامر بماكتب عنه باللغة العربية ، فعلى الرغم من ان العلماء العرب المسلمين ، قد تطرقوا في العصور الوسطى للكاتب وصنفوا فيه كتباً كثيرة ، حقق وطبع اغلبها ك: (كتاب الكتّاب) لابن درستويه (ت ٣٤٧هـ) و (كتاب الوزراء والكتّاب) للجيشاري (ت ٣٣١هـ) و (ادب الكاتب) للصّولي (ت ٣٣٧هـ) و (كتاب الولاة وكتاب القضاة) للكندي (ت ٢٦٧هـ) و (ادب الكتاب) لابن قتيبة (ت ٢٦٧هـ) وغيرها ، الا ان هذه الكتب تطرقت للكاتب في العصور الساسانية والعربية والاسلامية .

اما ما كتب عن الموضوع في بلاد الرافدين القديمة وبالغة العربية فنشير بهذا الخصوص الى ما كتبه بعض الباحثين العراقيين كالدكتور عامر سليمان والدكتورة بهيجة خليل في بحوثهم عن الكتابة والكتّاب ، وفيما عدا ذلك جاءت الاشارات اليه عرضا في كتب الموسوعات والكتب العامة والمترجمة ، والى من انتقلنا الى ما كتب عن الموضوع باللغات الاجنبية ، فلا يعدو ايضا ان يكون عبارة عن اشارات عرضية دون الخوض في التفاصيل بإستثناء دراسة الباحث الالماني (weatzoldt):

(Das Schreiber and schreibwesen in Mesopotamien)

الذي عالج الموضوع في فترة محدودة وتحديدا في الفترة السومرية من (٢١٦٤-٢٠٠٣ ق . م) أي تقريبا عصر سلالة اور الثالثة .

ومن هنا جاء اختيار هذا الموضوع للدراسة وهو (الكاتب في بلاد الرافدين القديمة) ليشمل ويغطي جميع العصور التي استمر فيها الكاتب يدون بالمسمارية مبتدئين من فترة تبلور ونضوج الكتابة المسمارية في مراحلها الاولى وظهور مهنة الكاتب وحتى نهاية فترة السيطرة السلوقية . أي بمعنى اخر ان الدراسة انتهجت اسلوبا تكامليا عن الكاتب .

وبعد .. فقد كان الكاتب ينتمي الى النخبة الاجتماعية ، ولقد كانت وظيفته تجري في مجتمع غالبيته من الاميين ، ووقعت عليه مسؤولية اساسية وهي كتابة النصوص لنفسه

وللآخرين ، لقد اكتسب الكتبة معرفة الكتابة والقراءة والحساب في مدارس مخصصة لهذا الغرض ، وبعد ان اتقنوا تلك الخطوات الاساسية ، انطلقوا الى حقول مختلفة من ميادين الحياة لممارسة تخصصاتهم ، وتم توزيعهم لاداء خدماتهم في القصور والمعابد والمحاكم والجيش وغيرها من قنوات التنظيمات الادارية للدولة والمجتمع الاخرى . ولقد اشترك الكتبة من ذوي الاهتمامات الاستثنائية في دراسات اضافية واتقنوا المعارف المتقدمة في العلم والادب والدين، ووقعت عليهم مسؤولية المحافظة على الارث الحضاري لبلاد الرافدين ، فلقد كان النتاج الادبي الهائل لهذه البلاد من صنع جيش جرار من الكتبة . ولقد صدق احد الباحثين الذي حدد لنا دور الكاتب في بلاد الرافدين حين قال : (لقد كان الكاتب في تلك الازمان ترجمان المراسلات الرسمية والخاصة والشؤون السياسية ، والاعمال القضائية ، والعلاقات القائمة بين المواطنين والعوائل . كما انه المعني بكل من يتعلق بمتطلبات العبادة وافلاكها : السحر والعرافة ، التنجيم ، لانه الوسيط بين المرء واقرانه . لقد كان حقا همزة الوصل بين الماضي الذي يجمع فيه التقاليد ، والمستقبل الذي يعنيه بمعارف ومعلومات اقتبسها عن الاسلاف ، ونظرا للدور الكبير الذي لعبه الكتبة في كافة مناحي الحياة ومنها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية جاء بحثنا هذا ليسلط الضوء على جوانب مهمة من حياة هذه الطبقة (أي الكتبة) والدور الفاعل الذي لعبته مستنديا الى احداث المصادر المسمارية التي امدتنا بالشيء الغزير عن دور الكتبة في حياة سكان بلاد الرافدين . ومن اجل تقديم اوسع صورة عن الكاتب في بلاد الرافدين فقد ضمت هذه الدراسة ادلة من جميع العصور حيث اقتضت طبيعة الدراسة تقسيمها الى خمسة فصول :

ضم الفصل الاول تمهيدا عن بداية الكتابة المسمارية ومراحل تطورها ونشأة الكاتب واهمية وظيفته في بلاد الرافدين ، وقد استعرضنا فيه المدلول اللغوي للفظه او مصطلح (كاتب) في النصوص المسمارية وتطورها عبر مراحل التاريخية فضلا عن دوافع تعلم مهنة الكتابة وفرص تعلمها انذاك في المدارس العراقية القديمة . واما الفصل الثاني فقد اختص بدراسة اصناف الكتبة وعرضنا لكل صنف منه بشكل مفصل كطبيعة مهامهم وحقوقهم وامتيازاتهم التي كانوا يتمتعون بها والوظائف والمناصب التي شغلوها . في حين تناول الفصل الثالث مكانة الكاتب الاجتماعية والتي بلغت من علو شأنها ان عد بعض الالهة والملوك انفسهم انصارا للكتبة والكتابة ، كما كان للامتيازات التي يتمتع بها اولئك الكتبة اثرها في احتكار المهنة وتوارثها في بعض الاسر ، وما جاء في الامثال والحكم وادبيات بلاد الرافدين القديمة والتي كانت تشيد بدور

الكاتب . والقى الفصل الرابع الضوء على حارات وارشيفات الكتبة او الاماكن التي كانوا يزاولون اعمالهم فيها كما درسنا فيه المواد والادوات التي استخدمها الكاتب انذاك في تغطية اشكال الكتابة واداء مهامه الكتابية .

في حين اشتمل الفصل الخامس والاخير على دراسة ظهور الكاتب في الاعمال الفنية من خلال نماذج من الاختام والتماثيل والالواح النذرية والرسوم والمنحوتات الجدارية ذات العلاقة ومن مختلف العصور ، عكست مشاهدتها اختلاف ادوات وطريقة الكتابة وتباين ازياء الكتبة واشكالهم ، واحتوى الفصل ايضا على عدد من الجداول التفصيلية التي تتعلق ببعض اصناف الكتبة . واتماما للفائدة فقد اعد الباحث جدولا يمثل المراحل التي مرت بها العلامات المسمارية التي كانت تدل على الكاتب ، فضلا عن بعض المصورات والمشاهد الفنية التي ظهر بها الكاتب .

اعتمدت الدراسة على عدد معين من المصادر والدوريات العربية والاجنبية المتوفرة ذات العلاقة بموضوع البحث ولعل من اهمها :

دراسة (ارشيفات الدولة الاشورية)

(State Archives of Assyria, Helsinki, 1997)

وكذلك مادة دراسة الباحث (Sasson) ضمن موسوعة نيويورك عام ١٩٩٥ عن حضارة الشرق الادنى القديم الموسومة :

(The Scribe and Scholar of Ancient Mesopotamia)

ودراسة الباحث الالماني (Weatzoldt) الموسومة :

schreiber und schreibwesen in Mesopotamia, Heidelberg, 1972.

ولا يسعني في الختام الا ان اتقدم بالشكر الجزيل ووافر الامتنان لاستاذي المشرف الدكتور حسين ظاهر حمود الذي تفضل بالاشراف على هذه الدراسة ، وكان لجهوده وتوجيهاته القيمة الاثر الكبير في تقديم هذه الدراسة وانجازها ، كما اسجل شكري الجزيل لاستاذة قسم الآثار / كلية الاداب جامعة الموصل الذين اغنوني بآرائهم السديدة وان واجب الوفاء يحتم علي ان اتوجه بشكري وامتناني لامناء المكتبة المسمارية في المتحف العراقي ببغداد .

والله ولي التوفيق

الباحث